

حزبنا لجميع المغاربة بمن فيهم اليهود

الخميس 7 يونيو 2007

إيلاف

أيمن بن التهامي

الأمين العام لحزب العدالة والتنمية المغربي في حوار مع "إيلاف"

العثماني: حزبنا لجميع المغاربة بمن فيهم اليهود

* نتوقع تقدم حزبنا بشكل واضح بالمقارنة مع انتخابات 2002

* لا علاقة لحزب العدالة والتنمية بحركة العدل والإحسان

* موقفنا من النظام الملكي مبدئي وليس وليد التحولات الأخيرة

* اخترنا موقف المشاركة السياسية عن قناعة

حاوره أيمن بن التهامي من الدار البيضاء: يمثل حزب العدالة والتنمية، طرفا من الحركة الإسلامية في المغرب، هذه الحركة التي تستقطب منذ زمن بعيد، انشغال الغرب، نظرا لما يمثله وجودها من حساسية حيال طبيعة النظام السياسي، الذي يعتمد جانبا من التراث السياسي الديني، مصدر سلطة وشرعية، وإيديولوجية خطاب.

وتبلور هذا الانشغال من خلال نشر مؤسسة أميركية (المعهد الجمهوري الدولي) استطلاعا للرأي فجر ضجة إعلامية سلطت كثيرا من الضوء على هذا الحزب بعد أن توقعته اكتساحه للاستحقاقات الانتخابية المقرر إجراؤها في 7 أيلول/سبتمبر المقبل.

ومنح هذا الاستطلاع العدالة والتنمية 47 في المئة من الأصوات، بفارق كبير عن حزب الاتحاد الاشتراكي (17 في المئة)، وحزب الاستقلال (12 في المئة).

غير أن سعد الدين العثماني، الأمين العام للحزب، قلل من أهمية هذه الأرقام، بل واعتبرها غير حقيقية، مشيرا إلى أنها ركبت في أسئلة متتالية لتعطي رقم 47 في المئة الذي أثار ضجة بعد الإعلان عنها.

وأكد سعد الدين العثماني، في حوار مع "إيلاف"، أن أغلب الناخبين لم يحسموا بعد خياراتهم، وهم مترددون حتى في المشاركة في الانتخابات من عدمها، معتقدا أنه من غير الممكن أن يكون الحزب طرفا مسيطرا إلى حد أن يحصل على النسبة المذكورة.

وردا على سؤال حول إمكانية قبول يهود مغاربة في صفوف الحزب، قال الأمين العام إن "العدالة والتنمية حزب المغاربة جميعا بدون استثناء بما فيهم اليهود طبعاً، والانتماء إليه مشروط بالالتزام بتوجهه السياسي ونظامه الأساسي ولوائحه الداخلية. وفي هذه الحالة يعتبر الموقف من الكيان الصهيوني ومن التطبيع معه شيئا أساسيا".

وجاء ميلاد العدالة والتنمية سنة 1967 بعد انشقاق داخل الحركة الشعبية قاده زعيم الحزب آنذاك ورئيس البرلمان المغربي الدكتور عبد الكريم الخطيب يوم امتنع عن موافقة ملك المغرب لإعلانه حالة الاستثناء، وهو الأمر الذي لم يرق للقصر فقام بالتنصيص على الخطيب، وبالتالي حصول الانشقاق وبعدها سيعرف الحزب مسارا مسودا بحيث مورست حوله مجموعة من العراقيل دفعته للانسحاب

من الساحة السياسية.

وفي سنة 1992، وبعد أن تعذر على حركة الإصلاح والتجديد (الجماعة الإسلامية سابقا) تأسيس حزب التجديد الوطني اتصلت قيادة الحركة بعبد الكريم الخطيب عارضة عليه إعادة إحياء الحزب، فوافق بشروط ثلاثة، تمثلت في الإسلام والاعتراف بالملكية الدستورية ونبذ العنف.

وعرفت سنة 1997 مشاركة الحزب في الانتخابات التشريعية، في دوائر محدودة، فحصل على 9 مقاعد أغلبها من العاصمة الاقتصادية.

وكانت نتائجه في انتخابات 2002 أكثر من لافتة، إذ حصل على 42 مقعدا، غير أن "إبعاده" من المشاورات السياسية لتشكيل الحكومة، على حد تعبير بعض نشطائه، جعله يتحول إلى معارض "شرس" للحكومة.

أظهر استطلاع للرأي أميركي احتمال فوز حزبك في الانتخابات المقبلة، ما تعليقكم على ذلك؟ وما هي الظروف التي ساهمت في الدفع باتجاه تقدم الحزب؟

من الناحية المنهجية والعلمية وجهت انتقادات إلى استطلاع الرأي هذا، فالأرقام التي نشرت ليست هي الأرقام الحقيقية التي توصل إليها استطلاع الرأي، بل ركبت في أسئلة متتالية لتعطي رقم 47 في المئة الذي أثار ضجة بعد الإعلان عنها. إضافة إلى أن أغلب الناخبين لم يحسموا بعد خياراتهم وهم مترددون حتى في المشاركة في الانتخابات من عدمها. لكن آراءهم اعتبرت نهائية وهذا معطى أساسي في تلك النتائج. كما أن هذا النوع من استطلاعات الرأي ليست إلا مؤشرا على ميول الناخبين، ولا دلالة لها إذا أخذت في الاعتبار باقي المؤشرات المتحركة في نتائج الانتخابات، بدءا من نمط الاقتراع اللائحي على أساس التمثيل النسبي بأكبر بقية، وهو بطبيعته نمط اقتراع يشنت الخريطة السياسية. إضافة إلى تقطيع أو تقسيم الدوائر الانتخابية الذي يضع بطبيعته سقفا للنتائج التي يمكن أن يحصل عليها أي حزب من الأحزاب مهما بلغ عدد الأصوات التي حازها.

صحيح أن عددا من المهتمين بالواقع السياسي المغربي والمراقبين يتوقعون تقدم حزب العدالة والتنمية في الانتخابات المقبلة، وأبي حزب يرغب في الفوز في الانتخابات. ونحن نتوقع أيضا تقدم حزبا بشكل واضح بالمقارنة مع انتخابات 2002. أما أسباب ذلك فمتعددة، منها تثبيت الحزب بالمرجعية الإسلامية ووضوح خطه السياسي وحيوية عمله الميداني وديمقراطيته الداخلية، إلى جانب ترهل النخب والأحزاب السياسية التقليدية وفشلها في تدبير الشأن العام وتخليقه، بل ومشاركة بعضها في ملفات فساد نشر كثير منها في الصحف الوطنية.

لماذا عندما أظهر الاستطلاع أنكم ستألون أكثر من 47 في المئة من الأصوات أقمتم الدنيا ولم تقعدوها، وبعد مدة ومع اقتراب موعد الانتخابات تأتون باستطلاع من طلبكم وتقولون بتواضع أنكم تتوفرون على 25 من نوايا التصويت. هل هو تواضع أم أنكم ترفضون التعامل مع أميركا أم خوفا من الحسد؟

يجب أولا أن ندقق المعطيات والمعلومات. عندما صدر استطلاع الرأي الأول كانت ردود الفعل غاضبة من قبل بعض الأحزاب السياسية وبعض المنابر الإعلامية. أما نحن فانتقدنا طريقة تسويق الاستطلاع التي تروم التخويف والإفزاز. وهذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها ذلك. فقبل كل استحقاقات انتخابية تصدر تقارير في صحف أجنبية وأحيانا محلية تضخم النتائج المرتقبة لحزب العدالة والتنمية.

وأذكر أنه قبيل الانتخابات التشريعية لعام 2002 تحدثوا عن الاكتساح الإسلامي وصدرت عناوين تهول من فوز حزب العدالة والتنمية، ورأينا في طريقة تسويق تلك الاستطلاعات أحيانا نوعا من الاستعداد على الحزب.

ونحن لا نهمنا استطلاعات جهات خارجية لأنها كثيرا ما تتسج بما يخدم مصالح تلك الجهات. الذي يهمنا أن الحزب موجود على الأرض، يعمل ليسهم في الإصلاح السياسي على قدر طاقته. وهو لا يمكن أن يكون طرفا مسيطرا لأسباب ذكرت بعضها، وبعضها مرتبط بغنى التجربة الحزبية المغربية وتجذرها.

كما أنه لا يريد ذلك، بل يريد أن يكون شريكا ومساهما في عملية الإصلاح والبناء والتنمية في المغرب، يريد أن يضع يده في يد الآخرين ولا يحلم ولا يريد بل ويعتقد أنه من غير الممكن أن يكون طرفا مسيطرا إلى حد أن يحصل على نسبة 47 في المئة من أصوات الناخبين.

ما هي السيناريوهات المحتملة في حالة فوز حزب العدالة والتنمية في انتخابات 2007؟

بما أن النظام الانتخابي يستحيل معه الحصول على الأغلبية المطلقة فهذا يعني أن التحالف لتشكيل حكومة ليس خيارا فحسب بل ضرورة سياسية.

ويبقى السؤال من هي الأحزاب التي من الممكن أن نتحالف معها ثم البرنامج الذي سيتم على أساسه الاتفاق والمناصب الحكومية التي سينفق عليها، وقبل كل هذا من هو الوزير الأول الذي سيتم تكليفه من قبل الملك، وموقفه من مشاركة حزب العدالة والتنمية معه، وموقف حزب العدالة والتنمية منه. هذه كلها أسئلة يجب الإجابة عليها قبل اتخاذ قرار المشاركة في أي حكومة مقبلة. وهي جزء من أسئلة متعددة ومتشابهة يصعب الحسم فيها قبل الانتخابات.

لكن مشاركة الحزب على ضوء ذلك في حكومة ما بعد 2007 واردة. لكن إذا لم يتم التفاهم على بعض تلك الأمور فإننا مستعدون للبقاء في المعارضة لأننا نريد أن تكون مشاركتنا إيجابية مفيدة، لا صورية مضيعة للوقت والجهد.

من هو الحزب الذي تعتقدون أنه الأقرب إلى توجيهاتكم، ويمكنكم التحالف معه؟

مبدئيا عندنا اتفاق مع حزب القوات الوطنية، وهو حزب يتبنى الليبرالية المتضامنة في برنامجه، مع الاعتزاز بالمرجعية الإسلامية. أما بالنسبة إلى تشكي ائتلاف حكومي فلا شك أن لنتائج الانتخابات دورا مهما في ذلك، ونحن نميل إلى أن يتم على أساس برنامجي وليس على أساس أيديولوجي.

بماذا تردون على من يقول إن الأحزاب المغربية تعيش حالة ضعف كبيرة جدا؟

بروح في الأوساط العامة هذا الوصف، وقد عبرت عنه الجمعية المغربية لمحاربة الرشوة "ترانسبرانسي المغرب" فوصفت في تقرير لها صدر مؤخرا الأحزاب المغربية بالجمود والتحجر وانعدام الديمقراطية، واستنتجت من هذا الوصف حزب العدالة والتنمية، مما خلف ردود فعل قاسية من بعض الأحزاب الأخرى.

لكننا نرى أن الواجب هو أن نتعامل الأحزاب المغربية مع أمثال هذه الدراسات على أنها ناقوس خطر، فتمارس نوعا من النقد الذاتي ومن المراجعة لعملها.

ونحن في حزب العدالة والتنمية نرى أن المغرب لا يمكن أن يكون قويا بدون أحزاب قوية، وبالتالي حكومة قوية وأحزاب معارضة قوية، وذلك من أجل إطلاق دينامية سياسية تعود بالنفع على المغرب والمغاربة.

هل الإسلام يهيمن على برنامج حزب العدالة والتنمية؟

الحزب ينطلق من المرجعية الإسلامية، ويعمل جاهدا للمساهمة في الإصلاح على أساسها. وهو أمر يجب أن يترجم إلى إجراءات علمية ومنهجية واقعية، ولا أن يبقى الأمر على مستوى الشعار.

لكن السؤال المحوري هو ما هي المرجعية الإسلامية؟ أليست محاربة الفقر والامية والاختلالات الاجتماعية، ومقاومة الرشوة والفساد بمختلف أنواعه من مقتضياتها؟ أليس تحقيق النهوض العلمي والاقتصادي جزءا مما يحث عليه ديننا؟

في حالة فوزكم، هل تخططون لمواجهة بعض الاختيارات التي تعتبرونها محرمة شرعا؟

المغرب بلد مسلم، والعمل على جعل القوانين والسياسات منسجمة مع ديننا وهويتنا أمر ضروري. وعموما فإن القوانين في المغرب تستجيب لذلك، لكن الممارسات هي التي يجب تعديلها لتنسجم مع القوانين. لكننا واعون بأن سن القوانين وحده لا يكفي، بل لا بد من عملية إصلاح اجتماعي واسعة ومتواصلة. ولذلك فإن أهم ما يمكن أن تأتي به حكومة راشدة هو فسخ المجال واسعا للجمعيات والمؤسسات المستقلة والإعلام والعلماء ليقوموا بدورهم في عملية الإصلاح.

هل يمكنك قبول يهود مغاربة في صفوف حزبكم؟

حزب العدالة والتنمية هو حزب المغاربة جميعا بدون استثناء بما فيهم اليهود طبعاً، والانتماء إلى حزب العدالة والتنمية مشروط بالالتزام بتوجهه السياسي ونظامه الأساسي ولوائحه الداخلية. وفي هذه الحالة يعتبر الموقف من الكيان الصهيوني ومن التطبيع معه شيئا أساسيا.

ما هو موقفكم مما جاء في كتاب "الحكومة الملتحية"، الذي أصدره وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السابق عبد الكبير العلوي المدغري، خاصة أن مضمونه يعينكم بالدرجة الأولى؟

ج- من جهة هناك احترام متبادل مع صاحب الكتاب، لكن ما جاء في كتابه لنا عليه ملاحظات علمية ومنهجية متعددة. ومن ذلك أن منطق الشرع يقضي بارتباط الالتزام به بالقدرة والاستطاعة لذلك نجد في القرآن الكريم "فاتقوا الله ما استطعتم" و "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها". وفي مجال تولي الولايات العامة عند الفقهاء مطلوب ممن يتولى مصالح الناس أن يجتهد في ذلك حسب الوسع، ويقوم ما يمكن أن يقوم به من الواجبات واجتناب ما يمكنه أن يجتنب من المحرمات، ولا يؤخذ عما يعجز عنه.

خرجتم من مرحلة الصراع التي كانت تطبع علاقة الملك بالأحزاب، ودخلتم الحياة السياسية بما هو موجود، بماذا تردون على من يصفونكم بالمتخاذلين؟

ج- موقفنا من النظام الملكي مبدئي وليس وليد التحولات الأخيرة، ثم إن الصراع الذي عرفه المغرب بين الملك وبعض الأحزاب ذات التوجه اليساري مرتبط بالظروف العامة والأجواء العالمية من الصراع بين المعسكر الاشتراكي والرأسمالي وقد تأثرت به مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ومنها المغرب.

وفي المرحلة الأخيرة عرف المغرب قفزة نوعية في مجال الحريات وحقوق الإنسان وحرية الصحافة، رغم بعض الاختلالات التي تحدث من حين لآخر، مما جعل كثيرا من هذه الأحزاب تراجع موقفها من النظام الملكي وتدعو الآن إلى ما كنا ننادي به في فترة سابقة، وبالتالي فهي الأولى بهذا السؤال، وليس حزب العدالة والتنمية.

ما هي طبيعة العلاقة التي تجمعكم بحركة العدل والإحسان، وما هو رأيكم في موقفها الراض للمشاركة في الانتخابات؟

لا علاقة لحزب العدالة والتنمية بالعدل والإحسان اللهم إلا العمل المشترك في بعض قضايا الأمة من فلسطين والعراق وغيرها، كما هو الشأن بالنسبة لباقي الهيئات المدنية والسياسية. ونحن اخترنا موقف المشاركة السياسية عن قناعة، أما إخوان العدل والإحسان فاختاروا العمل من خارج المؤسسات.

ما حجم تأثير أحداث 16 أيار 2003 على حزبكم وكيف تعاملتم معها؟

مرت فترة عصبية على حزب العدالة والتنمية في تلك الفترة بسبب هجوم بعض اللوبيات المتنفذة وبعض المنافسين السياسيين الذين طالبوا بحل حزب العدالة والتنمية، وأرادوا بذلك أن يستثمروا هذه الأحداث لصالحهم واعتبروها فرصة للتخلص منه. لكن تبصر وحكمة جهات أخرى في الدولة وفي النخبة السياسية وطريقة معالجة الحزب للأزمة فوت عليهم الفرصة. واليوم يزداد وزن حزب العدالة والتنمية السياسي ويعترف الجميع بأنه يقوم بدور مهم في نشر فكر الوسطية والاعتدال، وزرع الحيوية والجدية في الحياة السياسية.

هل يمكن التكهن بأن السيناريو نفسه قد يتكرر بعد الأحداث الإرهابية الأخيرة التي شهدتها الدار البيضاء؟

لا أبدأ، لأن التيار العلماني الاستتصالي المتطرف استوعب الدرس الماضي وفشل في تحقيق أهدافه، بل أدت تهجماتهم على الحزب إلى نتائج عكسية.

بماذا تتصحون المغرر بهم من الانتحاريين الذين يقدمون على مثل هذه الأفعال الإجرامية؟ وما دور الأحزاب في التصدي للظالمين؟

دور الأحزاب مهم جدا إذا كانوا يتواصلون مع الشباب وينشرون الوعي الصحيح، ويفتحون لهم مجال الإسهام في العمل السياسي والحزبي. ونصيحتي للشباب أن يعلموا أن الإصلاح عملية طويلة تحتاج إلى صبر وعلم وذكاء. وأن الدين مبني على اليسر والتيسير وليس على العسر والتعسير.

هل تتوقعون زيادة نسبة إقبال الشباب على صناديق الاقتراع، أم أن الانتخابات المقبلة لن تكون استثناء؟

من المنتظر أن يزداد إقبال الشباب في الانتخابات المقبلة، لكن نسبة ذلك مرتبط بمدى الجدية والنزاهة التي سيتم على أساسها تنظيمها. فال مواطنون، والشباب منهم بالخصوص، سيزداد إقبالهم على الانتخابات بقدر ثقتهم فيها وفي تنظيمها، لأن المصادقية السياسية في الواقع أكبر حافز للمشاركة في السياسة وفي الأحزاب.

كلمة أخيرة؟

أشكر موقع "إيلاف" على إتاحة هذه الفرصة، وأدعو جميع الغيورين على الوطن للإسهام في عملية الإصلاح، التي تتكامل حلقاتها عبر الزمان والمكان.

فالإصلاح في المغرب يتكامل مع عمليات الإصلاح في البلدان الأخرى، والأمة واحدة مثل الجسد الواحد، إذا قوي بعضه أعان البعض الآخر على النهوض والقوة أيضا.

وإذا كان سلاح اليوم هو العلم والمعرفة فالواجب علينا الاهتمام بهما وطلب أعلى درجات الجودة والكمال فيهما. وأخيرا فإن مهمة الإصلاح ليست هينة فيها صعوبة ومشقة، وتحتاج إلى صبر وروية، وإذا وجدت همما عالية نجحت وقادت المجتمع إلى النجاح.